جامعة الأزهر الشريف
كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا
قسم العقيدة والفلسفة



دور الإمام الغزالي في مواجهة التأويل الباطني

دراسة تحليلية نقدية

للدكتور فتحي محمد الزغبي

أستاذ العقيدة والفلسفة

بكلية أصول الدين جامعة الأزهر فرع طنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه ومن اتبع هديه إلي يوم الدين

أما بعـد

فإن هذا البحث يتعلق ببيان دور الإمام أبي حامد الغزالي حجة الإسلام (٤٥٠ – ٥٠٥ هــ) ، في نقد التأويل الباطني لدي الباطنية ومواجهته ، وذلك من خلال ما قام به من مناقشة لهذا التأويل الباطني في عدد من كتبه ، وبخاصة في كتابه الشهير(فضائح الباطنية) وكتابه الأشهر(المنقذ من الضلال) [١] .

فقد كان الإمام الغزالي صاحب عقل مفكر وبصيرة نافذة ، حيث استوعب المشكلات التي عاصرها ابتداء من أصولها العقائدية والتاريخية والاجتماعية ، واتخذ لنفسه منهجا يقوم على الاشتغال بالأمراض الأساسية التي نخرت في داخل المجتمع الإسلامي. ،

وقد أدرك رحمه الله في تشخيص هذه الأمراض أثر التراث الذي تسلمه جيله من الأجيال السابقة والذي تكمن فيه جذور الانحرافات القائمة وأصول الإصلاح المنشود. فراح يبحث عما كان أصيلا إسلاميا ثم أصابه الانحراف وما لم يكن أصيلا من الإسلام ، بل وفد إليه من الخارج ثم محص الغزالي أكداس التراث العقائدي والاجتماعي الذي تناثرت أجزاؤه بين المذاهب الفقهية والفرق الصوفية والمذاهب الفلسفية والباطنية ، واجتهد في إبعاد الغريب الضار واستبقاء الأصيل النافع ثم تنقيته من التشويه والتحوير الذي لحق به خلال المسيرة التاريخية للفكر الإسلامي .

---

(١) هذا البحث هو في الأصل بحث قد شاركت به في المؤتمر الدولي الرابع لقسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة بالاشتراك مع المجلس الأعلى للثقافة في إبريل ٢٠١٧ م ، والذي كان بعنوان (فلسفة التأويل : آفاقها واتجاهاتها)

وخلال هذه المحاولة ، لم يتردد الغزالي من أن يهوى بمعوله على ما كان دخيلا ، وأن يجتهد في اجتثاثه وتنقية الفكر الإسلامي منه ولو كانت منزلته في أرقى محافل المثقفين ودور العلم . وهذا ما فعله بالنسبة للأفكار الباطنية والفلسفية التي تسللت إلى الحياة الفكرية في ركاب العلوم الطبيعية والرياضيات والترجمة ، كذلك لم يتردد من انتشال ما رآه أصيلا صائبا وإن هان أمره بين الناس وهذا ما فعله بالنسبة للتصوف الذي آل أمره منذ زمن إلى الشكلية والانزواء في زوايا عوام الدراويش . وبعد ذلك كله أقام الغزالي من الأجزاء المنتقاة بناء فكريا عقائديا وتربويا استطاع من خلاله إحياء علوم الدين ودفعها لتسري مرة ثانية في شرايين المجتمع الذي عاصره (١) .

وقد فعل الغزالي هذا بعد أن قام بمواجهة الفلسفات الغازية والمعادية للإسلام والمتمثلة في الفلسفة اليونانية والفلسفة الباطنية والتي كان لها تأثير ضار وهدام في مجالات العقيدة والأخلاق في الأفراد والمجتمعات على السواء فقام برد الناس إلى الإيمان بالعقيدة والاعتماد على مصادر الدين الأصيلة، ودعا إلى الاستقامة في الأخلاق، ولذلك تعددت ميادين النهوض والإصلاح التي قام بها : في الفكر والعقل والعلم والتعليم والتربية والتهذيب ، وبخاصة قيامه بمقاومة التيارات الفكرية المنحرفة ومناقشتها مناقشة علمية موضوعية، وتفنيدها تفنيداً قوياً وبيان خروجها عن الإسلام ،

فمن خلال الرجوع إلي عصر الغزالي يتبين لنا أن الرجل قد أدى مهمة متميزة في تاريخ الفكر الإسلامي، حيث إن الأمة الإسلامية كانت مصابة بما يشبه الهزيمة العقلية و النفسية أمام النحل المنشقة، و الفرق الهدامة، و الفلسفات الوافدة، و البدع الفكرية المحدثة، و لم يكن ذلك لقوة هذه الأفكار الغازية، بل لضعف أسلحة المدافعين عن العقيدة

---

(١) راجع تفصيل ذلك لدي د ماجد عرسان الكيلاني : هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ص١٠٢ – ١٠٣ مكتبة دار الاستقامة الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م ، وص ١١٦ – ١١٧ من طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م

الإسلامية. وقد أثمرت هذه الهزيمة العقلية والنفسية شكا في الدين، وضعفا في اليقين، وانحلالا في الأخلاق، واضطرابا في السياسة، وفسادا في الاجتماع، أشاعه أتباع الفلسفة، ودعاة الباطنية ، وبينهما حلف ظاهر، واتصال خفي، وتعاون مشبوه، فالفلاسفة مهدوا للباطنية بتأويلهم المحكمات بل القطعيات في الدين، وملأوا كتبهم بالإشارات والرموز وخصوصا في رسائل (إخوان الصفا) ،

والباطنية كانوا يبحثون عن أنصارهم في طلاب الفلسفة، وفي بقايا الوثنيين:.فنفقت سوق الباطنية وهبت ريحهم ونصت تجارتهم، واجتمع حولهم أناس بدوافع مختلفة وأغراض شتى، ومنهم من دفعه إليهم أخذ الثأر من الذين كانوا سببا في ذهاب دولتهم وملكهم، ومنهم من دفعه بغض الدولة العباسية القائمة، وما يعانونه من ظلم وحيف في ظلها ـــ والباطنية هم الذين يعملون ضدها وينتصبون لها ـــ ومنهم من دفعه الرغبة في الأسرار والغوامض، ومنهم من دفعه إليهم رد فعل ضد الظاهرية السائدة، والتمسك بالقشور والإلحاح عليها إلحاحا زائدا، وإنكار كل ما زاد عليها، وكثير منهم اندفع وراء إشباع الرغبات والتهام اللذات التي يمكن منها الباطنية ولا يمكن منها غيرهم، ومنهم من دفعه الغضب لأهل البيت والتشيع لهم، وكانت الباطنية تنشر دعوتها باسمهم وتدعو إليهم.

ومهما اختلفت الدوافع والأغراض فقد كسبت الباطنية شيعا وأنصارا، وأصبحت مؤسسة سرية يرهب جانبها وتخشى غائلتها، حتى أصبحت في زمن قريب قوة تحسب لها الحكومات الإسلامية الكبيرة الحساب الكبير، وظلت منها مدة طويلة في تعب عظيم وعناء كبير، وأضحى كثير من رجالاتها ووزراء الحكومات صرعى الإرهاب، واغتيال نفوس كان غناؤها للإسلام عظيما، كنظام الملك الطوسي ، وفخر الملك ؛

حتى أتى على المسلمين حين من الدهر، ولا يعرف العالم منهم أو الوزير أو القائد إذا نام في الليل هل يصبح سالما أم يكون فريسة أحد الإرهابيين ، وقد كان الميدان في حاجة إلى فارس مقتدر مدرب، يعرف كيف يقاتل في حلبة الفكر، مسلح بمثل أسلحة

المهاجمين، قادر على أن يحارب خصومه بمثل ما يحاربونه به، السيف بالسيف والرمح بالرمح، شجاع لا يتهيب خوض معركة، ولا يرهب خصما مهما علا صيته، وكان ذلك الفارس الذي أعده القدر الأعلى، ليسد الثغرة، ويملأ الفراغ، هو أبا حامد الغزالي (١) .

وقد اعترف بذلك القدماء و المعاصرون :

فمن القدماء : نجد العلامة تاج الدين السبكي يقول عن الغزالي إنه : (حجة الإسلام ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام ،جامع أشتات العلوم والمبرز في المنقول منها والمفهوم ،جرت الأئمة قبله بشأو ولم تقع منه بالغاية ولا وقف عند مطلب وراءه مطلب لأصحاب النهاية والبداية حتى أخمل من القرناء كل خصم بلغ مبلغ السهام وأخمد من نيران البدع كل ما لا تستطيع أيدي المجالدين مسها ، كان رضي الله عنه ضرغاما إلا أن الأسود تتضاءل بين يديه وتتوارى وبدرا تماما إلا أن هداه يشرق نهارا وبشرا من الخلق ولكنه الطود العظيم وبعض الخلق لكل مثل ما بعض الحجر الدر النظيم ،جاء والناس إلى رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفي بجلاد مقاله ويحمى حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله حتى أصبح الدين وثيق العرى وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت إلا حديثا مفترى) (٢) .

ومن المعاصرين : يذكر الشيخ أبو الحسن الندوي تحت عنوان : الحاجة إلى شخصية قوية جديدة : أن العالم الإسلامي في القرن الخامس– وقد تواضعت على إضعافه الفلسفة والباطنية، وأحدثتا تبلبلا فكريا؛ يجره إلى الإلحاد في العقيدة، والتدهور في

(١) راجع رجال الفكر والدعوة في الإسلام للشيخ أبي الحسن الندوي ج ١ص ١٤٠/١٣٣والغزالي بين مادحيه وناقديه للدكتور يوسف محمد ص ٢٠ ، ٢٢ ، دار الوفاء للطبع والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤١١ ه – ١٩٩١ م

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، ج٦/ص١٩٣ ، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ، الطبعة: ط٢، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو .

الأخلاق، والاضطراب في السياسة ـــ كان في حاجة ملحة إلى شخصية قوية جديدة ترد إليه الإيمان بالعقيدة، والاعتماد على مصادر الدين الأصيلة، والاستقامة في الأخلاق، وينتج الإنتاج الجديد الذي تكسد معه سوق الباطنية وتركد ريحها، وتعرض الإسلام عرضا عقليا جميلا تدحض معه حجج الفلاسفة والباطنية .

وكان لابد لهذه الشخصية أن تكون جامعة بين العلوم العقلية والنقلية، لها في كل منهما قدم راسخة وباع طويل ونظر نافذ، وتكون عقلية كبيرة تناهض فلاسفة اليونان وقادة الفكر في العالم، تجري معهم في رهان واحد، وتستطيع أن تدون كثيرا من العلوم تدوينا جديدا، وتقول فيهما كلمتها، وتجمع إلى ذلك كله من المواهب العلمية والكفاية العقلية الإيمان القوي الراسخ الذي اكتسبه هذا الرجل بدراسته وتأملاته، وإخلاصه وجهاده في سبيل الوصول إلى المعرفة واليقين، ويستطيع بكل ذلك أن ينفخ في المجتمع الإسلامي روحا جديدا وحياة جديدة. لقد رزق العالم الإسلامي ـــ وهو في أشد حاجة وأدق ساعة ـــ هذه الشخصية الفذة، في منتصف القرن الخامس الهجري: هي شخصية الغزالي (١) .

فقد نشأ الغزالي في عصر تعددت فيه النحل والمدارس العقلية، وتصارعت فيه الاتجاهات الفكرية والدينية، داخل الساحة الإسلامية، ووجد نفسه أمام بحر لجي من اختلافات المذاهب والتيارات، متلاطم الأمواج، عميق القاع، فلم يقف موقف المتفرج، ولم يرعه سعة البحر، ولا شدة الموج، ولا عمق القاع، ولا كثرة من غرق من قبل، ممن لم يحسن الغوص والسباحة، حيث يذكر في كتابه (المنقذ من الضلال) أن اختلاف الخلق في الأديان والملل ، ثم اختلاف الأئمة في المذاهب ، على كثرة الفرق وتباين الطرق ، بحر عميق غرق فيه الأكثرون ، وما نجا منه إلا الأقلون ، ولم أزل في عنفوان شبابي (وريعان عمري) ، منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن ، وقد أناف السن على

---

(١) راجع رجال الفكر والدعوة للعلامة الندوي ج ١ ص ١٤٤

الخمسين ، أقتحم لجّة هذا البحر العميق ، وأخوض غَمرَتهُ خَوْضَ الجَسُور ، لا خَوْضَ الجبان الحذور ، وأتوغل في كل مظلمة ، وأتــهجّم على كل مشكلة ، وأتفحم كل ورطة ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة ، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة ؛ لأميز بين مُحق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع ، لا أغادر باطنيًّا إلا وأحب أن أطلع على باطنيته، ولا ظاهريّاً إلا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته ، ولا زنديقا معطلا إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته (١) .

وهكذا كان العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري – وقد تواضعت على إضعافه الفلسفة والباطنية، وأحدثتا تبلبلا فكريا؛ يجره إلى الإلحاد في العقيدة، والتدهور في الأخلاق، والاضطراب في السياسة – كان في حاجة ملحة إلى شخصية قوية جديدة ترد إليه الإيمان بالعقيدة، والاعتماد على مصادر الدين الأصيلة، والاستقامة في الأخلاق، وينتج الإنتاج الجديد الذي تكسد معه سوق الباطنية وتركد ريحها، وتعرض الإسلام عرضا عقليا جميلا تدحض معه حجج الفلاسفة والباطنية،

وكان لابد لهذه الشخصية أن تكون جامعة بين العلوم العقلية والنقلية، لها في كل منهما قدم راسخة وباع طويل ونظر نافذ، وتكون عقلية كبيرة تناهض فلاسفة اليونان وقادة الفكر في العالم، تجري معهم في رهان واحد، وتستطيع أن تدون كثيرا من العلوم تدوينا جديدا، وتقول فيهما كلمتها، وتجمع إلى ذلك كله من المواهب العلمية والكفاية العقلية الإيمان القوي الراسخ الذي اكتسبه هذا الرجل بدراسته وتأملاته، وإخلاصه وجهاده في سبيل الوصول إلى المعرفة واليقين، ويستطيع بكل ذلك أن ينفخ في المجتمع الإسلامي روحا جديدا وحياة جديدة.

---

(١) راجع المنقذ من الضلال ص ٣٢٨ – ٣٢٩ تحقيق الإمام الدكتور عبد الحليم محمود دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٨٥ م ، والمنقذ من الضلال والموصل إلي ذي العزة والجلال ص ٧٨ – ٨٠ ، حققه وقدم له د جميل صليبا ود كامل عياد ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٩٩٦ م – ١٤١٦ ه

لقد رزق العالم الإسلامي ـــ وهو في أشد حاجة وأدق ساعة ـــ هذه الشخصية الفذة، في منتصف القرن الخامس الهجري: هي شخصية الغزالي ، حيث كانت الباطنية تتسرب إلى المجتمع وتنفث سمومها فيه، وكانت لها الإغراءات المادية القوية، فعظم شأنها في عصره ، واستهووا كثيرا من الشبان ومن طلبة العلم ، ولم يكن في العالم الإسلامي في آخر القرن الخامس أحد أجدر بالرد عليها، والكشف عن أسرارها، ونقض ما تبني عليه دعوتها من الغزالي لجمعه بين التضلع من الفلسفة والوقوف على لب التصوف وعلم الباطن، ولاتصافه بالغوص في حقائق الأشياء، والتعمق في العلوم، وتلك بضاعة الباطنية التي تتبجح بها، (١) .

دواعي قيام الغزالي بالرد علي الباطنية :

وهنا أقبل الغزالي إليهم ودخل عليهم حيث يقـــول في كتابه المنقذ من الضلال : « وكان قد نبغت نابغة التعليمية ، وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق ، فعنّ لي أن أبحث في مقالاتهم ، لأطّلع على ما في كنانتهم. ثم اتفق أن ورد عليّ أمر جازم من حضرة الخلافة ، بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم. فلم يسعني مدافعته وصار ذلك مستحثاً من خارج ، ضميمة للباعث من الباطن ، فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم. وكذلك قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي ولدتـــها خواطر أهل العصر ، لا على المنهاج المعهود من سلفهم. فجمعت تلك الكلمات ، ورتبتها ترتيباً محكماً مقارناً للتحقيق ، واستوفيت الجواب عنها ، حتى أنكر بعض أهل الحق مني مبالغتي في تقرير حجتهم، فقال: هذا سعي لهم ، فإنهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها ، وترتيبك إياها . وهذا الإنكار من وجه حق ، فقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي (رحمهما الله) ، تصنيفه في الرد على المعتزلة ؛ فقال الحارث: الرد على البدعة فرض فقال أحمد: نعم ، ولكن

(١) راجع رجال الفكر والدعوة في الإسلام ج ١ ص ١٤٤ ، ١٧٣

حكيت شبهتهم أولاً ثم أجبت عنها ؛ فبمَ تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ، ولا يلتفت إلى الجواب ، أو ينظر في الجواب ولا يفهم كنهه؟

ثم يعقب الغزالي بقوله : وما ذكره أحمد بن حنبل حق ، ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر. فأما إذا انتشرت ، فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية. نعم ، ينبغي أن لا يتكلف لهم شبهة لم يتكلفوها ؛ ولم أتكلف أنا ذلك ، بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من واحد من أصحابي المختلفين إلي ، بعد أن كان قد التحق بهم ؛ وانتحل مذهبهم ، وحكى أنهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم ، بأنـــهم لم يفهموا بعد حجتهم. ثم ذكر تلك الحجة وحكاها عنهم ، فلم أرض لنفسي أن يظن في الغفلة عن أصل حجتهم ، فلذلك أوردتها ، ولا أن يظن بي أني – وإن سمعتها – لم أفهمها فلذلك قررتها (١) .

فقد اخذ الغزالي في تصنيف كتاب في الرد على الباطنية مشتمل على الكشف عن بدعهم وضلالاتهم وفنون مكرهم واحتيالهم ووجه استدراجهم عوام الخلق وجهالهم وإيضاح غوائلهم في تلبيسهم وخداعهم وانسلالهم عن ربقة الإسلام وانسلاخهم وانخلاعهم وإبراز فضائحهم وقبائحهم بما يفضي إلى هتك أستارهم وكشف أغوارهم ،

حيث يذكر الغزالي أنه قد خرجت الاوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالإشارة إليه في تصنيف كتاب في الرد على الباطنية مشتمل على الكشف عن بدعهم وضلالاتهم وفنون مكرهم واحتيالهم ووجه استدراجهم عوام الخلق وجهالهم وإيضاح غوائلهم في تلبيسهم وخداعهم وانسلالهم عن ربقة الإسلام وانسلاخهم وانخلاعهم وإبراز فضائحهم وقبائحهم بما يفضي إلى هتك أستارهم وكشف أغوارهم فكانت المفاتحة بالاستخدام في هذا المهم في الظاهر نعمة اجابت قبل الدعاء ولبت قبل النداء وإن كانت

(١) راجع المنقذ من الضلال: تحقيق د عبد الحليم محمود ص ٣٦٣– ٣٦٤ وتحقيق د جميل صليبا ، ص ١١٨ – ١١٩ ، راجع رجال الفكر والدعوة في الإسلام ص ١٩٢

في الحقيقة ضالة كنت أنشدها وبغية كنت أقصدها فرأيت الامتثال حتما والمسارعة إلى الارتسام حزما وكيف لا أسارع اليه وان لاحظت جانب الآمر ألفيته أمرا مبلغه زعيم الأمة وشرف الدين ومنشؤه ملاذ الأمم أمير المؤمنين وموجب طاعته خالق الخلق رب العاملين إذ قال الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وإن التفت إلى المأمور به فهو ذب عن الحق المبين ونضال دون حجة الدين وقطع لدابر الملحدين وإن رجعت إلى نفسي وقد شرفت بالخطاب به من بين سائر العالمين رأيت المسارعة إلى الإذعان والامتثال في حقي من فروض الأعيان إذ يقل على بسيط الأرض من يستقل في قواعد العقائد بإقامة الحجة والبرهان بحيث يرقيها من حضيض الظن والحسبان إلى يفاع القطع والاستيقان فانه الخطب الجسيم والأمر العظيم الذي لا تستقل بأعيانه بضاعة الفقهاء ولا يضطلع بأركانه إلا من تخصص بالمعضلة الزباء لما نجم في أصول الديانات من الأهواء ، واختلط بمسالك الأوائل من الفلاسفة والحكماء فمن بواطن غيهم كان استمداد هؤلاء فإنهم بين مذاهب الثنوية والفلاسفة يترددون وحول حدود المنطق في مجادلاتهم يدندنون ، ولقد طال تفتيشي عن شبه خصمه لما تقدر على قمعه وخصمه وفي مثل ذلك أنشد :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

وينتهي الغزالي إلي أنه قد (تظاهرت علي أسباب الإيجاب والإلزام واستقبلت الآتي بالاعتناق والالتزام وبادرت إلى الامتثال والارتسام وانتدبت لتصنيف هذا الكتاب مبنيا على عشرة ابواب سائلا من الله سبحانه التوفيق لشاكله والصواب وسميته (فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية) والله تعالى الموفق لإتمام هذه النية) [(١)] .

ومعني ذلك أن الداعي الأهم الذي حمل الغزالي علي تأليف هذا الكتاب هو ما

(١) راجع فضائح الباطنية للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي صفحة ٣ – ٤ ، مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت ، حققه وقدم له : د عبد الرحمن بدوي

رآه من استفحال أمر الباطنية ، وبث دعاة الإسماعيلية من قبل الدولة الفاطمية في مصر للدعوة إلي الخليفة الفاطمي (المستنصر بالله) ضد الخليفة العباسي (المستظهر بالله)

ولهذا فإن الغزالي قد استهدف من هذا الكتاب هدفين : إظهار فضائح الباطنية ، وهو أمر يتعلق بالعقيدة ، وبيان فضائل المستظهرية ، أي خلافة المستظهر بالله العباسي ، (ت ٥١٢ هـــ) وهو أمر يتعلق بالسياسة ، ومن هنا جاءت تسمية الكتاب بـــ (المستظهري) في (فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية)

فالغزالي في ردوده علي الباطنية التي بدأها بكتابنا هذا ، إنما قصد أو قصد له أن يناضل الباطنية من حيث المذهب ، كما كان أمراء السلاجقة يكافحونها من حيث السلطان السياسي ، وكان الغزالي علي وعي تام بخطر الباطنية علي الإسلام ، ولهذا كان هجومه عليهم عنيفا مخلصا متحمسا (١) .

منهج الغزالي في الرد علي الباطنية من خلال كتابه فضائح الباطنية :

وقد حدد لنا الغزالي منهجه الذي استنهجه في هذا الكتاب بأنه سيحلل آراءهم ، ويستقرئ ما وراءها بأسلوب الغوص والتحقيق والتعميق إلي أقصي الغايات ، حيث يذكر أن الكلام في التصانيف يختلف منهجه بالإضافة إلى المعنى غوصا وتحقيقا وتساهلا وتزويقا وبالإضافة إلى اللفظ إطنابا وإسهابا واختصارا وايجازا وبالإضافة إلى المقصد تكثيرا وتطويلا واقتصارا وتقليلا فهذه ثلاثة مقامات ولكل واحد من الأقسام فائدة وآفة، وأما المقام الاول فالغرض في الغوص والتحقيق والتعمق في أسرار المعاني إلى اقصى الغايات التوقي من إزراء المحققين وقدح الغواصين فانهم إذا تأملوه فلم يصادفوه على مطابقة أوضاع الجدال وموافقة حدود المنطق عند النظار استركوا عمل المصنف واستغثوا كلامه واعتقدوا فيه التقاعد عن شأو التحقيق في الكلام والانخراط في سلك العوام ولكن

---

(١) راجع بالتفصيل التصدير العام الذي قدمه د عبد الرحمن بدوي لكتاب فضائح الباطنية ص ح وما بعدها

له آفة وهي قلة جدواه وفائدته في حق الأكثرين فإن الكلام إذا كان على ذوق المراء والجدال لا على مساق الخطاب المقنع لم يستقل بدركه إلا الغواصون ولم يتفطن لمغاصاته إلا المحققون وأما سلوك مسلك التساهل والاقتصار على فن من الكلام يستحسن في المخاطبات ففائدته أن يستلذ وقعه في الأسماع ولا تكل عن فهمه والتفطن لمقاصده أكثر الطباع ويحصل به الإقناع لكل ذي حجى وفطنة وان لم يكن متبحرا في العلوم ، وهذا الفن من جوالب المدح والإطراء ولكن من الظاهريين وآفته أنه من دواعي القدح والإزراء ولكن من الغواصين ، فرأيت أن أسلك المسلك المقتصد بين الطرفين ولا أخلى الكتاب عن أمور برهانية يتفطن لها المحققون ولا عن كلمات إقناعية يستفيد منها المتوهمون فان الحاجة إلى هذا الكتاب عامة في حق الخواص والعوام وشاملة جميع الطبقات من أهل الاسلام وهذا هو الأقرب إلى المنهج القويم فلطالما قيل كلا طرفي قصد الأمور ذميم [١] .

وقد قسم الغزالي كتابه (فضائح الباطنية) إلي عشرة أبواب :

الباب الأول في الإعراب عن المنهج الذي استنهجته في سياق هذا الكتاب

الباب الثاني في بيان ألقابهم والكشف عن السبب الباعث لهم على نصب هذه الدعوة المضلة

الباب الثالث في بيان درجات حيلهم في التلبيس والكشف عن سبب الاغترار بحيلهم مع ظهور فسادها

الباب الرابع في نقل مذهبهم جملة وتفصيلا

الباب الخامس في تأويلاتهم لظواهر القرآن واستدلالهم بالأمور العددية وفيه فصلان الفصل الأول في تأويلهم للظواهر والفصل الثاني في استدلالاتهم بالأعداد

---

(١) راجع فضائح الباطنية للغزالي ص ٧ – ٨

والحروف

الباب السادس في إيراد أدلتهم العقيلة على نصرة مذهبهم والكشف عن تلبيساتهم التي زوقوها بزعمهم في معرض البرهان على إبطال النظر العقلي

الباب السابع في إبطال استدلالهم بالنص على نصب الامام المعصوم

الباب الثامن في مقتضى فتوى الشرع في حقهم من التكفير والتخطئة وسفك الدم

الباب التاسع في إقامة البرهان الفقهي الشرعي على أن الإمام الحق في عصرنا هذا هو الإمام المستظهر بالله حرس الله ظلاله

الباب العاشر في الوظائف الدينية التي بالمواظبة عليها يدوم استحقاق الإمامة

وانتهي إلي القول بأن هذه ترجمة الأبواب والله المستعان على سلوك جادة الحق واستنهاج مسلك الصدق (١) .

ويهمنا هنا في هذا البحث أن نشير إلي أن الغزالي قد خصص الباب الأول في الإعراب عن المنهج الذي استنهجه في سياق هذا الكتاب ، والذي سبق ان أشرنا إليه ،

وخصص الباب الثاني في بيان ألقاب الباطنية ، والكشف عن السبب الباعث لهم على نصب هذه الدعوة المضلة ،

حيث يذكر في الفصل الأول من هذا الباب ألقابهم التي تداولتها الألسنة على اختلاف الأعصار والأزمنة وهي عشرة ألقاب الباطنية والقرامطة والقرمطية والخرمية والحرمدينية والإسماعيلية والسبعية والبابكية والمحمرة والتعليمية وبين أن لكل لقب سببا ،

ونقتصر هنا علي بيان لقبين لهم :

---

(١)   فضائح الباطنية جزء ١ صفحة ٥ – ٦ .

الأول : الذي اشتهروا به ، وهو الباطنية :

حيث يذكر الغزالي أهم قد لقبوا بذلك اللقب لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها مسارعا إلى الاغترار كان تحت الأواصر والأغلال معنى بالأوزار والأثقال وأرادوا ب الأغلال التكليفات الشرعية فإن من ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه وهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [١] . وربما موهوا بالاستشهاد عليه بقولهم إن الجهال المنكرين للباطن هم الذين اريدوا بقوله تعالى : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [٢] .

وينتهي الغزالي إلي أن غرضهم الأقصى يتمثل في إبطال الشرائع :

فإنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين إذا سقطت الثقة بموجب الالفاظ الصريحة فلا يبقى للشرع عصام يرجع إليه ويعول عليه [٣] .

وأما اللقب الثاني فإنهم سموا بالخرمية ولقبوا بها نسبة لهم إلى حاصل مذهبهم وزبدته فانه راجع إلى طي بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن المتعبدين وتسليط

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٧ .

(٢) سورة الحديد : ١٣ .

(٣) فضائح الباطنية جزء ١ صفحة ١١ – ١٢ .

الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات وقضاء الوطر من المباحات والمحرمات وخرم لفظ اعجمي ينبئ عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الانسان اليه بمشاهدته ويهتز لرؤيته وقد كان هذا لقبا للمزدكية وهم اهل الإباحة من المجوس الذين نبغوا في ايام قباذ وأباحوا النساء وان كن من المحارم وأحلوا كل محظور وكانوا يسمون خرمدينية فهؤلاء ايضا لقبوا بها لمشابهتهم اياهم في اخر المذهب وان خالفوهم في المقدمات وسوابق الحيل في الاستدراج [١] .

وينتهي الغزالي بعد كلام طويل إلي أنه ينبغي أن يعرف الانسان ان رتبة هذه الفرقة أخس من رتبة كل فرقة من فرق الضلال ، إذ لا نجد فرقة ينقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه إذ مذهبها إبطال النظر وتغيير الالفاظ عن موضوعاتها بدعوى الرموز وكل ما يتصور ان ينطلق به لسانهم اما نظر أو نقل : اما النظر فقد ابطلوه وأما اللفظ فقد جوز ان يراد باللفظ غير موضوعه فلا يبقى لهم معتصم

فإن قيل فهذا ينقلب عليكم فأنتم تجوزون ايضا تأويل الظواهر كما اولتم آية الاستواء وخبر النزول وغيرهما قلنا ما ابعد هذا القلب فإن لنا معيارا في التأويل وهو أن ما دل نظر العقل ودليله على بطلان ظاهره علمنا ضرورة أن المراد غير ذلك بشرط ان يكون اللفظ مناسبا له بطريق التجوز والاستعارة فقد دل الدليل على بطلان الاستواء والنزول فإن ذلك من صفات الحوادث فحمل على الاستيلاء وهو مناسب للغة واما الحشر والنشر والجنة والنار فليس في العقل دليل على إبطاله ولا مناسبة بين الالفاظ الواردة فيه وبين المعنى الذي اولوه عليه حتى يقال انه المراد بل التأويل في تكذيب محض فأي مناسبة بين قوله : ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ ، وقوله: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ ﴾

(١) فضائح الباطنية جزء ١ صفحة ١٤ .

إلى قوله : ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ ﴾ وبين ما اعتقدوه من اتصال الجواهر الروحانية بالأمور الروحانية العقلية التي لا مدخل فيها للمحسوسات فإن جاز أن يكذب صاحب المعجزة بهذه التأويلات التي لم تخطر قط ببال من سمعها فلم لا يجوز تكذيب معصومكم الذي لا معجزة له بتأويله على امور ليس تخطر ببالهم لمصلحة أو لمسيس حاجة فإن غاية لفظه التصريح والقسم وهذه الألفاظ في القرآن صريحة ومؤيدة بالقسم وزعموا ان ذلك ذكر لمصلحة والمراد غير ما سبق إلى الأفهام منها وهذا لا مخلص عنه [١] .

وقد خصص الغزالي الباب الثالث في بيان درجات حيلهم في التلبيس والكشف عن سبب الإغترار بحيلهم مع ظهور فسادها ، ويهمنا هنا ان نشير إلي أن الباب الخامس قد خصصه في عرض تأويلاتهم لظواهر القرآن ونقدها واستدلالهم بالأمور العددية وفيه فصلان :

الفصل الأول : في تأويلهم للظواهر

والفصل الثاني : في استدلالاتهم بالأعداد والحروف [٢] .

---

(١)   فضائح الباطنية جزء ١ ، ص ٥٢ – ٥٣ .

(٢)   راجع المصدر السابق جزء ١ صفحة ٥ .

الفصــل الأول
في تأويلهـم للظواهــر

والقول الوجيز في تأويلهم للظواهر : انهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها واستفادوا بما انتزعوه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ إبطال معاني اشرع وبما زخرفوه من التأويلات تنفيذ انقيادهم للمبايعة والموالاة وانهم لو صرحوا بالنفي المحض والتكذيب المجرد لم يحظوا بموالاة الموالين وكانوا اول المقصودين المقتولين .

ثم حكي الغزالي نبذة من تأويلاتهم لنستدل بها على مخازيهم فقد قالوا كل ما ورد من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية فكلها أمثلة ورموز إلى بواطن اما الشرعيات فمعنى الجنابة عندهم مبادرة المستجيب بإفشاء سر إليه قبل أن ينال رتبة استحقاقه ومعنى الغسل تجديد العهد على فعل ذلك ومجامعة البهيمة معناها عندهم معالجة من لا عهد عليه ولم يؤد شيئا من صدقة النجوى وهي مائة وتسعة عشر درهما عندهم فلذلك اوجب الشرع القتل على الفاعل والمفعول به والا فالبهيمة متى وجب القتل عليها والزنا هو القاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد الاحتلام هو ان يسبق لسانه إلى إفشاء السر في غير محله فعليه الغسل اي تجديد المعاهدة الطهور هو التبري والتنظف من اعتقاد كل مذهب سوى مبايعة الامام الصيام هو الامساك عن كشف السر الكعبة هي النبي والباب علي الصفا هو النبي والمروة علي والميقات هو الاساس والتلبية إجابة الداعي والطواف بالبيت سبعا هو الطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة والصلوات الخمس أدلة على الاصول الاربعة وعلى الامام فالفجر دليل السابق والظهر دليل التالي والعصر دليل للأساس والمغرب دليل الناطق والعشاء دليل الإمام .

وكذلك زعموا أن المحرمات عبارة عن ذوي الشر من الرجال وقد تعبدنا باجتنابهم كما أن العبادات عبارة عن الاخيار الأبرار الذين أمرنا باتباعهم ، فأما المعاد فزعم بعضهم أن النار والاغلال عبارة عن الأوامر التي هي التكاليف فانها موظفة على

الجهال بعلم الباطن فما داموا مستمرين عليها فهم معذبون فإذا نالوا علم الباطن وضعت عنهم أغلال التكاليف وسعدوا بالخلاص عنها واخذوا يؤولون كل لفظ ورد في القرآن والسنة فقالوا أنهار من لبن أي معادن الدين العلم الباطن يرتضع بها أهلها ويتغذى بها تغذيا تدوم بها حياته اللطيفة فإن غذاء الروح اللطيفة بارتضاع العلم من المعلم كما ان حياة الجسم الكثيف بارتضاع اللبن من ثدي الام و أنهار من خمر هو العلم الظاهر و أنهار من عسل مصفى هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة

أما المعجزات فقد أولوا جميعها وقالوا : الطوفان معناه طوفان العلم اغرق به المتمسكون بالسنة والسفينة حرزه الذي تحصن به من استجاب لدعوته ونار إبراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن النار الحقيقية وذبح إسحاق معناه اخذ العهد عليه عصا موسى حجته التي تلقفت ما كانوا يأفكون من الشبه لا الخشب انفلاق البحر افتراق علم موسى فيهم على أقسام والبحر هو العالم والغمام الذي أظلهم معناه الامام الذي نصبه موسى لإرشادهم وإفاضة العلم عليهم الجراد والقمل والضفادع هي سؤالات موسى وإلزاماته التي سلطت عليهم والمن والسلوى علم نزل من السماء لداع من الدعاة هو المراد بالسلوى تسبيح الجبال معناه تسبيح رجال شداد في الدين راسخين في اليقين

ثم يذكر أنهم زعموا أن الجن الذي ملكهم سليمان بن داود هم باطنية ذلك الزمان والشياطين هم الظاهرية الذي كلفوا بالأعمال الشاقة ، وأن عيسى له أب من حيث الظاهر وإنما أراد بالأب الإمام إذ لم يكن له إمام بل استفاد العلم من الله بغير واسطة ، وزعموا لعنهم الله أن أباه يوسف النجار وان كلامه في المهد اطلاعه في مهد القالب قبل التخلص منه على ما يطلع عليه غيره بعد الوفاة والخلاص من القالب إحياء الموتى من عيسى معناه الاحياء بحياة العلم عن موت الجهل الباطن وابراؤه الاعمى معناه عن عمي الضلال وبرص الكفر ببصيرة الحق المبين ابليس وآدم عبارة عن أبي بكر وعلي إذ امر أبوبكر بالسجود لعلي والطاعة له فأبى واستكبر الدجال زعموا انه أبو بكر وكان اعور إذ لم يبصر الا بعين الظاهر دون عين الباطن ويأجوج ومأجوج هم اهل الظاهر ،

وينتهي الغزالي إلي القول بأن هذا من هذيانهم في التأويلات حكيناها ليضحك منها ونعوذ بالله من صرعة الغافل وكبوة الجاهل (١) .

مسالك الغزالي في الرد علي تأويلات الباطنية :

ثم يقول الغزالي : ولسنا نسلك في الرد عليهم الا بمسالك ثلاثة : إبطال ومعارضة وتحقيق .

أما المسلك الأول وهو الإبطال : فهو أن يقال بم عرفتم أن المراد من هذه الألفاظ ما ذكرتم فإن اخذتموه من نظر العقل فهو عندكم باطل وان سمعتموه من لفظ الامام المعصوم فلفظه ليس بأشد تصريحا من هذه الألفاظ التي أولتموها فلعل مراده أمر آخر اشد بطونا من الباطن الذي ذكرتموه ولكنه جاوز الظاهر بدرجة فزعم ان المراد بالجبال الرجال فما المراد بالرجال لعل المراد به امر آخر والمراد بالشياطين اهل الظاهر فما اهل الظاهر والمراد باللبن العلم فما معنى العلم فإن قلت العلم والرجال اهل الظاهر صريحة في مقتضياتها بوضع اللغة ان كنت ناظرا بالعين العوراء إلى أحد الجانبين فأنت المراد إذا بالدجال فإنه أعور لأنك أبصرت بإحدى العينين فإن الرجال ظاهر وعميت بالعين الاخرى الناظرة إلى الجبال وانها ايضا ظاهر فإن قلت يمكن ان يكنى بالجبال عن الرجال قلنا ويمكن ان يكنى بالرجال عن غيرهم

وهكذا في كل فن و إذا نزل تسبيح الجبال على تسبيح الرجال فليترل معنى الرجال في قوله تعالى ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ على الجبال فإن المناسبة قائمة من الجانبين ثم إذا نزل الجبال على الرجال ونزل الرجال أيضا على غيره أمكن تتريل ذلك الباطن الثالث على رابع وتسلسل إلى حد يبطل التفاهم و التفهيم ولا يمكن التحكم بأن الحائز الرتبة الثانية دون الثالثة أو الثالثة دون الرابعة .

---

(١) فضائح الباطنية جزء ١ صفحة ٥٥ – ٥٨ .

المسلك الثاني : معارضة الفاسد بالفاسد : وهو أن يتناول جميع الأخبار على نقيض مذهبهم مثلا يقال قوله لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة أى لا يدخل العقل دماغا فيه التصديق بالمعصوم وقوله إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا أى إذا نكح الباطني بنت أحدكم فليغسلها عن درن الصحبة بماء العلم وصفاء العمل بعد أن يعفرها بتراب الإذلال أو يقول قائل النكاح لا ينعقد بغير شهود وولى وأما قوله كل نكاح لا يحضره أربعة فهو سفاح معناه أن كل اعتقاد لم يشهد له الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فهو باطل وقوله لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل أي لا وقاع إلا بذكر وأنثيين إلى غير ذلك من الترهات والمقصود من ذكر هذا القدر معارضة الفاسد بالفاسد وتعريف الطريق في فتح هذا الباب حتى إذا اهتديت إليه لم تعجز عن تتريل كل لفظة من كتاب أو سنة على نقيض معتقدهم فإن زعموا أنكم أنزلتم الصورة على المعصوم في قوله لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة فأي مناسبة بينهما قلت وأنتم نزلتم الثعبان على البرهان والأب في حق عيسى على الإمام واللبن على العلم في أنهار اللبن في الجنة والجن على الباطنية والشياطين على الظاهرية والجبال على الرجال فما المناسبة فإن قلت البرهان يقضم الشبه كما يقضم الثعبان غيره والإمام يفيد الوجود العلمي كما يفيد الأب الوجود الشخصي واللبن يغذي الشخص كما يغذي العلم الروح والجن باطن كالباطنية فيقال لهم فاذا اكتفيتم بهذا القدر من المشاركة فلم يخلق الله شيئين إلا وبينهما مشاركة في وصف ما فإنا نزلنا الصورة على الإمام لان الصورة مثال لا روح فيها كما أن الامام عندكم معصوم ولا معجزة له والدماغ مسكن العقل كما ان البيت مسكن العاقل والملك شئ روحاني كما أن العقل كذلك فثبت أن المراد بقوله لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة معناه لا يدخل العقل دماغا فيه اعتقادا عصمة الإمام فإذا عرفت هذا فخذ كل لفظ ذكروه وخذ ما تريده واطلب منهما المشاركة بوجه ما وتأوله عليه فيكون دليلا بموجب قولهم كما عرفتك في المناسبة بين الملك والعقل والدماغ والبيت والصورة والإمام وإذا انفتح لك الباب اطلعت على وجه حيلهم في التلبيس بترع موجبات

الألفاظ وتقدير الهوسات بدلا عنها للتوصل إلى إبطال الشرع ، وهذا القدر كاف في إبطال تأويلهم (١) .

المسلك الثالث : وهو التحقيق أن تقول هذه البواطن والتأويلات التي ذكرتموها لو سامحناكم أنها صحيحة فما حكمها في الشرع أيجب إخفاؤها أم يجب إفشاؤها فإن قلتم يجب إفشاؤها إلى كل أحد قلنا فلم كتمها محمد صلى الله عليه وسلم فلم يذكر شيئا من ذلك للصحابة ولعامة الخلق حتى درج ذلك العصر ولم يكن لأحد من هذا الجنس خبر ، وكيف استجاز كتمان دين الله وقد قال تعالى : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ تنبها على أن الدين لا يحل كتمانه وإن زعموا أنه يجب إخفاؤه فنقول ما أوجب الرسول صلى الله عليه وسلم إخفاؤه من سر الدين كيف حل لكم إفشاؤه والجناية في السر بالإفشاء ممن اطلع عليه من أعظم الجنايات فلولا أن صاحب الشرع عرف سرا عظيما ومصلحة كلية في إخفاء هذه الأسرار لما أخفاها ولما كرر هذه الظواهر على أسماع الخلق ولما تكررت في كلمات القرآن صفة الجنة والنار بألفاظ صريحة مع علمه بأن الناس يفهمون منه خلاف الباطن الذي هو حق ويعتقدون هذه الظواهر التي لا حقيقة لها فإن نسبتموه إلى الجهل بما فهمه الخلق منه فهو نسبة إلى الجهل بمعنى الكلام إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم قطعا أن الخلق ليس يفهمون من قوله وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة إلا المفهوم منه في اللغة فكذا سائر الألفاظ ثم مع علمه بذلك كان يؤكده عليهم بالتكرير والقسم ولم يفش إليهم الباطن الذي ذكرتموه لعلمه بأنه سر الله المكتوم فلم أفشيتم هذا السر وخرقتم هذا الحجاب وهل هذا إلا خروج عن الدين ومخالفة لصاحب الشرع وهدم لجميع ما أسسه إن سلم لكم جدلا أن ما ذكرتموه من الباطن حق عند الله وهذا لا مخرج لهم عنه فإن قيل هذا سر لا يجوز إفشاؤه إلى عوام الخلق فلهذا لم يفشه رسول الله صلى الله عليه و سلم ولكن حق النبي أن يفشيه إلى

---

(١) فضائح الباطنية جزء ١ صفحة ٥٨ – ٦١ .

سوسه الذي هو وصية وخليفته من بعده وقد أفشاه إلى علي دون غيره قلنا وعلي هل أفشاه إلى غير سوسه وخليفته أم لا ، فإن لم يفشه إلا إلى سوسه و كذا سوس سوسه وخليفة خليفته إلى الآن فكيف انتهى إلى هؤلاء الجهال من العوام حتى تناطقوا به وشحنت التصانيف بحكايته وتداولته الألسنة فلا بد أن يقال إن واحدا من الخلفاء عصى وأفشى السر إلى غير أهله فانتشر وعندهم أنهم معصومون لا يتصور عليهم العصيان فإن قيل السوس لا يذكره إلا مع من تعاهده عليه قلنا وما الذي منع الرسول من أن يعاهد ويذكره إن كان يجوز إفشاؤه مع العهد فإن قيل لعله عاهد وذكر ولكن لم ينقل لأجل العهد الذي أخذ ممن أفشى إليه قلنا ولم انتشر ذلك فيكم وأئمتكم لا يظهرون ذلك إلا مع من أخذ العهد عليه وما الذي عصم عهد أولئك دون عهد هؤلاء ثم يقال إذا جاز إفشاء هذا السر بالعهد فالعهد يتصور نقضه فهل يتصور أن يفشيه إلى من يعلم الإمام المعصوم أنه لا ينقضه أو يكفى أن يظنه بفراسته و اجتهاده واستدلاله بالأمارات فإن قلتم لا يجوز إلا إلى من علم الإمام المعصوم أنه لا ينقضه بتعريف من جهة الله فكيف انتشرت هذه الأسرار إلى كافة الخلق ولم تنتشر الا ممن سمع فإما ان يكون المبلغ ناقصا للعهد أو لم يعاهد أصلا وفي احدهما نسبة المعصوم إلى الجهل وفي الاخر نسبته إلى المعصية ولا سبيل إلى واحد منهما عندهم وان زعمتم أنه يحل الإفشاء بالعهد عند شهادة الفراسة في المأخوذ عليه عهده انه لا ينقضه استدلالا بالأمارات ففي هذا نقض اصل مذهبهم لانهم زعموا انه لا يجوز اتباع أدلة العقل ونظره لان العقلاء مختلفون في النظر ففيه خطر الخطأ فكيف حكموا بالفراسة والامارة التي الخطأ أغلب عليها من الصواب وفي ذلك إفشاء سر الدين وهو أعظم الاشياء خطرا وقد منعوا التمسك بالظن والاجتهاد في الفقهيات التي هي حكم بين الخلق على سبيل التوسط في الخصومات ثم ردوا افشاء سر الدين إلى الخيالات والفراسات .

وهذا مسلك متين يتفطن له الذكي ويتبجح به المشتغل بعلوم الشرع إذ يتيقن قطعا ان القائل قائلان قائل يقول لا باطن لهذه الظواهر ولا تأويل لها فالتأويل باطل قطعا

وقائل ينقدح له ان ذلك يمكن ان يكون كنايات عن بواطن لم يأذن الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يصرح بالبواطن بل ألزمه النطق بالظواهر فصار النطق بالباطن حراما باطلا وفجورا محظورا ومراغمة لواضع الشرع وهذه التأسيسة بالاتفاق فليس اهل عصرنا مع بعد العهد بصاحب الشرع وانتشار الفساد واستيلاء الشهوات على الخلق وإعراض الكافة عن امور الدين أطوع للحق ولا اقبل للسر ولا آمن عليه ولا أحرى بفهمه والانتفاع به من أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الأسرار والتأويلات ان كان لها حقيقة فقد أقفل اسماعهم عنها وألجم أفواه الناطقين عن اللهج بها ولنا في رسول الله أسوة حسنة في قوله وفعله فلا نقول الا ما قال ولا نظهر الا ما يظهر ونسكت عما سكت عنه وفي الافعال نحافظ على العبادات بل على التهجد والنوافل وأنواع المجاهدات ونعلم ان ما لم يستغن عنه صاحب الشرع فنحن لا نستغني عنه ولا ننخدع بقول الحمقى إن نفوسنا اذا صفت بعلم الباطن استغنينا عن الاعمال الظاهرة بل نستهزئ بهذا القائل المغرور ونقول له يا مسكين أتعتقد ان نفسك اصغي وأزكي من نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يقوم ليلا يصلى حتى تنتفخ قدماه

لكنا نقول إذا أخذنا بأسوأ الأحوال وقصرت أدلة عقولنا مثلا عن درك ضلالك وجهلك وعن الاحاطة بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنا نرى بدائه عقولنا تقضي بأن الخسران في زمرة محمد صلى الله عليه وسلم وموافقته والقناعة بما رضي هو لنفسه اولى من الفوز معك أيها المخذول الجاهل بل المعتوه المخبل ،

وينتهي الغزالي إلي القول : فلينظر الان المنصف في آخر هذا وأوله فآخره يقنع العوام بل العجائز وأوله يفيد البرهان الحقيقي لكل محقق آنس بعلوم الشرع وناهيك بكلام ينتفع به كافة الخلق على اختلاف طبقاتهم في العلم والجهل [١] .

---

(١)   فضائح الباطنية جزء ١ صفحة ٦٢ – ٦٦ .

الفصل الثاني
في استدلالهم بالأعداد والحروف

يذكر الغزالي أن هذا فن من الجهالة اختصت به هذه الفرقة من بين الفرق فإن طوائف الضلال مع انشعاب كلامهم وانتشار طرقهم في نظم الشبهات لم تتطلخ طائفة منهم بهذا الجنس واستركوها وعلم عوامهم وجهالهم بالضرورة بطلانها فاجتووها وتشبث بها هؤلاء ولا غرو فالغريق بكل شيء يتمسك والغبي بكل ايهام يتزلزل ويتشكك ونحن نذكر شيئا يسيرا منه ليشكر الناظر فيه ربه على سلامة العقل واعتدال المزاج وصحة الفطرة فإن الانخداع بمثل ذلك لا ينبعث الا من العته والخبل في العقل ، فقد قالوا ان الثقب على رأس الآدمي سبعة والسموات سبعة والارضون سبع والنجوم سبعة أعني السيارة وأيام الاسبوع سبعة فهذا يدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة وزعموا ان الطبائع اربع وان فصول السنة اربعة فهذا يدل على الاصول الاربعة وهي السابق والتالي الإلآهان والناطق والأساس الإمامان

وزعموا ان البروج اثنا عشر فتدل على الحجج الاثنى عشر كما نقلناه في مذهبهم وربما استثاروا من شكل الحيوانات دلالات فقالوا الآدمي على شكل حروف محمد فان رأسه مثل ميم ويداه مبسوطتان كالحاء وعجزه ك الميم ورجلاه ك الدال وبهذا الجنس يتكلمون على شكل الطيور والبهائم وربما تأولوا من الحروف واعدادها فقالوا قد قال النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم واموالهم الا بحقها قيل وما حقها قال معرفة حدودها ، وزعموا أن حدودها معرفة اسرار حروفها وهي ان لا إله الا الله اربع كلمات وسبعة فصول وهي قطع لا إله الا الله وثلاثة جواهر فإن لا حرف يبقى إله و إلا الله فهي ثلاثة جواهر والجملة اثنا عشر حرفا وزعموا ان الكلمات الاربع دالة على المدبرين العلوين السابق والتالي والمدبرين السفليين الناطق والاساس هذه دلالته على الروحانيات فأما على الجسمانيات فانها الطبائع الاربع واما الجواهر الثلاثة فدالة على جبريل وميكائيل

وإسرافيل من الروحانيات ومن الجسمانيات على الطول والعرض والعمق إذ بها ترى الاجسام والفصول السبعة تدل من الروحانيات على الانبياء السبعة ومن الجسمانيات على الكواكب السبعة لأنه لو الأنبياء السبعة لما اختلفت الشرائع كما أنه لولا الكواكب السبعة لما اختلفت الأزمنة والحروف الاثنا عشر تدل على الحجج الاثنى عشر (وفي الجسمانيات على البروج الاثنى عشر) وهكذا تصرفوا في قول محمد رسول الله وفي الحروف وفي اوائل السور وأبرزوا ضروبا من الحماقات تضحك المجانين فضلا عن العقلاء وناهيك خزيا بطائفة هذا منهج استدلالهم ولسنا نكثر حكاية هذا الجنس عنهم اكتفاء بهذا القدر في تعريف مخازيهم ، وهذا فن يعرف بضرورة العقل بطلانه فلا يحتاج إلى ابطاله .

الا انا نعلمك في افحام الغبي والمعاند منهم مسلكين : مطالبة ومعارضة

أما المطالبة : فهو أن يقال ومن أين عرفتم هذه الدلالات ولو حكم الانسان بها لحكم على نفسه بانه من سوء مزاجه أثار عليه الاخلاط فأورث اضغاث الأحلام وقد اضلكم الله إلى هذا الحد حتى لم يستحيوا منها أعرفتم صحتها بضرورة العقل أو نظر أو سماع من إمامكم المعصوم فإن ادعيتم الضرورة باهتم عقولكم واخترعتم ثم لم تسلموا من معارض يدعى انه عرف بالضرورة بطلانه ثم يكون مقامه من تعارض الحق بالفاسد مقام من يعارض الفاسد بالفاسد ، وان عرفتم بنظر العقل فنظر العقل عندكم باطل لاختلاف العقلاء في نظرهم وإن صدقتم به فأفيدونا وجه النظر وسياقه وما به الاستدلال على هذه الحماقات وان عرفتم ذلك من قول الإمام المعصوم فبينوا ان الناقل عنه معصوم أو بلغ الناقلون عنه حد التواتر ثم صححوا ان الإمام المعصوم لا يخطئ ثم بينوا انه يستحيل ان يفهم ما يعرف بطلانه فلعله خدعكم بهذه الحماقات وهو يعلم بطلانها كما زعمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم خدع الخلق بصفة الجنة والنار وبما يحكي عن الأنبياء من إحياء الموتى وقلب العصا ثعبانا وقد كذب في جميعها وذكرها مع علمه بأنها لم يكن منها شيء وان الناس يفهمون منها على القطع ظواهرها وانه كان يقصد تفهيم الظواهر ويعلم انهم

يفهمون ما يفهمهم من الظواهر وهو خلاف الحق ولكن رأى فيه مصلحة فلعل إمامكم المعصوم رأى من المصلحة ان يستهزئ بعقولكم ويضحك من أذقانكم فألقى اليكم هذه الترهات إظهارا لغاية الاستيلاء عليكم والاستعباد لكم وافتخارا بغاية الدهاء والكياسة في التلبيس عليكم فليت شعري بماذا أمنتم الكذب عليه لمصلحة رآها وقد صرحتم بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وهل بينهما فرق إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم مؤيد بالمعجزة الدالة على صدقه والذي اليه استرواحكم لا معجزة له سوى حماقتكم هذا سبيل المطالبة .

وأما المعارضة : فلسنا نقصد لتعيين الصور ولكن نعلمك طريقا يعم كل ما في العالم من الاشكال والحروف فان كل موجود فهو من الواحد إلى العشرة فما فوقها لا محالة فمهما رأيت شيئا واحدا فاستدل به على محمد صلى الله عيه وسلم وإذا رأيت اثنين فقل هو دلالة على الشيخين أبي بكر وعمر وان كان ثلاثة فمحمد صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر إن كان اربعة فالخلفاء الاربعة وان كان خمسة فعلى محمد مع الخلفاء والاربعة وقل اما تعرفون السر ان الثقب على رأس الآدمي خمس ما هو الواحد وهو الفم يدل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم فانه واحد والعينان والمنخران على الخلفاء الاربعة ونقول اما تعرفون السر في اسم محمد وانه اربعة حروف ما هو فإذا قالوا لا فنقول هو السر الذي لا يطلع عليه الا ملك مقرب فانه ينبيه على ان اسم خليفته اربعة حروف وهو عتيق دون علي الذي اسمه ثلاثة احرف فإذا وجدت سبعة فاستدل به على سبعة من خلفاء بني أمية مبالغة في إرغامهم وإجلالا لبني العباس عن المعارضة بهم وقل عدد السموات السبع والنجوم والاسبوع دال على معاوية ويزيد ثم مروان ثم عبد الملك ثم الوليد ثم عمر بن عبد العزيز ثم هشام ثم السابع المنتظر وهو الذي يقال له السفياني وهو قول الأموية من الإمامية أو قابلهم بمذهب الراوندية وقل إنه يدل على العباس ثم عبد الله ابن العباس (ثم علي بن عبد الله) ثم محمد بن علي ثم إبراهيم ثم أبو العباس السفاح ثم المنصور وكذلك ما تجده من عشرة أو اثنى عشر فعد من خلفاء بني العباس

بعددهم ثم انظر هل تجد بين الكلامين فصلا وبه – كما يقول الغزالي – يتبين فساد كلامهم وافتضاحهم وإلزامهم باستدلالهم وهذا الجنس من الكلام لا يليق بالمحصل فيه الإكثار منه فلنعدل عنه إلى غيره (١) .

والخلاصة أن الإمام الغزالي قد قرر في كتابه فضائح الباطنية شبهاهم إلى أقصى الإمكان ، ثم أظهر فسادها بغاية البرهان . وانتهي في كتابه (المنقذ من الضلال) إلي أنه لا حاصل عند هؤلاء ، ولا طائل لكلامهم. ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل ، لما انتهت تلك البدعة – مع ضعفها – إلى هذه الدرجة ؛ ولكن شدة التعصب ، دعت الذابين عن الحق إلى تطويل النـــزاع معهم في مقدمات كلامهم ، وإلى مجاحدهم في كل ما نطقوا به ، فجاحدوهم في دعواهم : الحاجة إلى التعليم والمعلم ، وفي دعواهم أنه : لا يصلح كل معلم ، بل لا بد من معلم معصوم وظهرت حجتهم في إظهار الحاجة إلى التعليم والمعلم ، وضعف قول المنكرين في مقابلته ، فاغتر بذلك جماعة وظنوا أن ذلك من قوة مذهبهم وضعف مذهب المخالفين ، ولم يفهموا أن ذلك لضعف ناصر الحق وجعله بطريقه ،

بل الصواب الاعتراف بالحاجة إلى المعلم ، وأنه لا بد وأن يكون المعلم معصوماً ، ولكن معلمنا المعصوم هو محمد صلى الله عليه وسلّم فإذا قالوا : هو ميت فنقول : ومعلمكم غائب فإذا قالوا : معلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل فنقول : ومعلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد وأكمل التعليم إذ قال الله تعالى : ' اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكمْ نعمتي ' ، وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته . فبقي قولهم : كيف تحكمون فيما لم تسمعوه ؟ أبالنص ولم تسمعوه ، أم بالإجتهاد والرأي وهو مظنة الخلاف ؟

فنقول : نفعل ما فعله معاذ إذ بعثه رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى اليمن .

---

(١) فضائح الباطنية جزء ١ صفحة ٦٦ – ٧٢ .

أن نحكم بالنص عند وجود النص ، وبالاجتهاد عند عدمه . ثم يذكر الغزالي أن لهم ها هنا سؤالين : أحدهما قولهم : هذا وإن صح في المجتهدات فلا يصح في قواعد العقائد ، إذ المخطئ فيه غير معذور ، فكيف السبيل إليه ؟ فأقول :

قواعد العقائد يشتمل عليها الكتاب والسنة ، وما وراء ذلك من التفصيل ، والمتنازع فيه ، يعرف الحق فيه بالقسطاس المستقيم .وهي الموازين التي ذكرها الله تعالى في كتابه ، وهي خمسة ذكرتها في كتاب القسطاس المستقيم ' فإن قال : خصومك يخالفونك في ذلك الميزان فأقول : ولا يتصور أن يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه ، إذ لا يخالف فيه أهل التعليم ، لأني استخرجته من القرآن وتعلمته منه ، ولا يخالف فيه أهل المنطق ، لأنه موافق لما شرطوه في المنطق وغير مخالف له ، ولا يخالف فيه المتكلم لأنه موافق لما يذكره في أدلة النظريات ، وبه يعرف الحق في الكلاميات . فإن قال : فإن كان في يدك مثل هذا الميزان فلم لا ترفع الخلاف بين الخلق ؟ ، فأقول : لو أصغوا إلي لرفعت الخلاف بينهم ، وذكرت طريق رفع الخلاف في كتاب القسطاس المستقيم فتأمله لتعلم أنه حق وأنه يرفع الخلاف قطعاً لو أصغوا ... فإن قال : ادعيت أنك ترفع الخلاف بين الخلق ولكن المتحير بين المذاهب المتعارضة ، والاختلافات المتقابلة ، لم يلزمه الإصغاء إليك دون خصمك وأكثر الخصوم يخالفونك ، ولا فرق بينك وبينهم وهذا هو سؤالهم الثاني ، فأقول : وهذا أولاً ينقلب عليك ، فإنك إذا دعوت هذا المتحير إلى نفسك فيقول المتحير : بما صرت أولى من مخالفيك ، وأكثر أهل العلم يخالفونك ؟ فليت شعري بماذا تجيب ؟ أتجيب بأن تقول : إمامي منصوص عليه ، فمن يصدقك في دعوى النص ، وهو لم يسمع النص من الرسول ؟ وإنما يسمع دعواك مع تطابق أهل العلم على اختراعك وتكذيبك . ثم هب أنه سلم لك النص ، فإن كان متحيراً في أصل النبوة ، فقال : هب أن إمامك يدلي بمعجزة عيسى عليه السلام فيقول : الدليل على صدقي أني أحيي أباك ، فأحياه ، فناطقني بأنه محق ، فبماذا أعلم صدقه ؟ ولم يعلم كافة الخلق صدق عيسى عليه السلام بهذه المعجزة ، بل عليه من الأسئلة المشكلة ما لا يدفع إلا بدقيق

النظر العقلي ، والنظر العقلي لا يوثق به عندك ، ولا يعرف دلالة المعجزة على الصدق ما لم يعرف السحر والتمييز بينه وبين المعجزة ، وما لم يعرف أن الله لا يضل عباده . وسؤال الإضلال وعسر تحرير الجواب عنه مشهور فبماذا تدفع جميع ذلك ؟ ولم يكن إمامك أولى بالمتابعة من مخالفه فيرجع إلى الأدلة النظرية التي ينكرها ، وخصمه يدلي بمثل تلك الأدلة وأوضح منها وهذا السؤال قد انقلب عليهم انقلاباً عظيماً لو اجتمع أولهم وآخرهم على أن يجيبوا عنه جواباً لم يقدروا عليه . وإنما نشأ الفساد من جماعة من الضعفة ناظروهم ، فلم يشتغلوا بالقلب بل بالجواب . وذلك مما يطول فيه الكلام ، وما لا يسبق سريعاً إلى الإفهام ، فلا يصلح للإفحام . فإن قال قائل : فهذا هو القلب ، فهل عنه جواب ؟ فأقول :

نعم جوابه أن المتحير لو قال : أنا متحير ولم يعين المسألة التي هو متحير فيها ، يقال له : أنت كمريض ، يقول : أنا مريض ولا يعين مرضه ويطلب علاجه فيقال له : ليس في الوجود علاج للمرض المطلق ، بل لمرض معين . من صداع أو إسهال أو غيرهما فكذلك المتحير ينبغي أن يعين ما هو متحير فيه ، فإن عين المسألة عرفته الحق فيها بالوزن بالموازين الخمسة ، التي لا يفهمها أحد إلا ويعترف بأنه الميزان الحق ، ويفهم منه أيضاً صحة الوزن ، كما يفهم متعلم علم الحساب ، نفس الحساب ، وكون المحاسب المعلم عالماً بالحساب وصادقاً فيه . وقد أوضحت ذلك في كتاب القسطاس المستقيم في مقدار عشرين ورقة ، فليتأمل [١] .

وينتهي الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) إلي أنه ليس المقصود الآن بيان فساد مذهبهم ، فقد ذكرت ذلك في كتاب المستظهري أولاً ، وفي كتاب حجة الحق ثانياً ، وهو جواب كلام لهم عرض علي ببغداد ، وفي كتاب مفصل الخلاف الذي هو اثنا عشر فصلاً ثالثاً ، وهو جواب كلام عرض علي بهمدان ، وفي كتاب الدرجة المرقوم

(١) راجع المنقذ من الضلال للغزالي ص ٣٦٥ – ٣٧٠ .

بالجداول رابعاً ، وهو من ركيك كلامهم الذي عرض علي بطوس ؛ وفيكتاب (القسطاس المستقيم) خامساً ، وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم وإظهار الاستغناء عن الإمام [المعصوم] لمن أحاط به. بل المقصود أن هؤلاء ليس معهم شيء من الشفاء المنجي من ظلمات الآراء ، بل هم مع عجزهم عن إقامة البرهان على تعيين الإمام ، طالما جربناهم فصدقناهم في الحاجة إلى التعليم ، وإلى المعلم المعصوم وعرضنا عليهم إشكالات فلم يفهموها ، فضلاً عن القيام بحلّها فلما عجزوا أحالوا على الإمام الغائب ، وقالوا : إنه لا بد من السفر إليه والعجب أنهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم وفي التبجح بالظفر به ، ولم يتعلموا منه شيئاً أصلاً ، كالمتضمخ بالنجاسة ، يتعب في طلب الماء حتى إذا وجده لم يستعمله ، وبقي متضمخاً بالخبائث . ومنهم من ادعى شيئاً من علمهم ، فكان حاصل ما ذكره شيئاً من ركيك فلسفة فيثاغورس وهو رجل من قدماء الأوائل ، ومذهبه أرك مذاهب الفلسفة ، وقد رد عليه أرسطاطاليس ، بل استرك كلامه واسترذله ، وهو المحكي في كتاب إخوان الصفا وهو على التحقيق حشو الفلسفة . فالعجب ممن يتعب طول العمر في تحصيل العلم ثم يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغيث ، ويظن بأنه ظفر بأقصى مقاصد العلوم فهؤلاء أيضاً جربناهم وسبرنا ظاهرهم وباطنهم ، في رجع حاصلهم إلى استدراج العوام ، وضعفاء العقول ببيان الحاجة إلى المعلم ، ومجادلتهم في إنكارهم الحاجة إلى التعليم بكلام قوي مفحم ، حتى إذا ساعدهم على الحاجة إلى المعلم مساعد وقال : هات علمه وأفدنا من تعليمه وقف وقال : الآن إذا سلمت لي هذا فاطلبه ، فإنما غرضي هذا القدر فقط . إذ علم أنه لو زاد على ذلك لافتضح ولعجز عن حل أدنى الإشكالات ، بل عجز عن فهمه ، فضلاً عن جوابه . فهذه حقيقة حالهم فأخبرهم تقلهم فلما جربناهم نفضنا اليد عنهم أيضاً (١) .

حكم الغزالي علي الباطنية بالكفر والضلال :

(١) راجع المصدر السابق ص ٣٧٠ – ٣٧٢ .

وبذلك يكون الغزالي قد تعمق في تعاليم الباطنية ، وقام بتأليف كتب عديدة ضد هذه التعاليم ، وعرض في هذه الكتب تعاليمهم وأهدافهم بطريقة منهجية، وقرر شبهتهم إلي أقصى الإمكان حتي وجدنا بعض أهل الحق في عصره قد لامه في مبالغته في تقرير حجتهم ، لأنه بذلك قد أدى لهم خدمة كبيرة ، ولكنه الغزالي الذي يأبي إلا أن يفحص ويستقصي ويتعمق في المذهب ويستظهره ثم يكر عليه بتفنيد ما فيه من مزاعم وأباطيل ، وهذا شأنه مع كل المذاهب التي قام بمناقشتها، وهذا هو أسلوبه الذي التزمه في تأليف كتبه ،حيث جعل بعضها مقدمات لبعض ، فالمقاصد مقدمة لتهافت الفلاسفة ، فقبل أن يتصدى لنقد تعاليم الفلاسفة ، ابتدأ بتأليف "المقاصد " فأوضح فيه علومهم وحججهم ، وتلك هي الطريقة الصحيحة في كتابة البحوث العلمية ، تبدأ أولا بتحليل ما كتب في موضوع البحث ، تحليلا موضوعيا لا تحيز فيه ، ثم يلي ذلك بحث المؤلف نفسه ونتائجه التي أمكنه الوصول إليها بطريقته الخاصة (١) .

ويذكر الدكتور عبدالقادر محمود أن الإمام الغزالي قد قدم في ثورته ضد الباطنية رسائل وكتبا وأوجعهم فيها نقدا وتفنيدا ، واستخدم منهج العقل في مناقشتهم ، ونصحهم بأنهم لو اقتدوا بالرسول عليه الصلاة والسلام لكان تقليدهم مبنيا علي العقل ، وكان ذلك أفضل لهم من الاستسلام لخرافة الإمام المعصوم الغائب الحاضر القائم، ويمضي الغزالي العبقري إجمالا ثم تفصيلا معهم في تأويلاتهم الفاسدة الحمقاء وفي استدلالاتهم الضالة بأسرار الحروف والأعداد ، وفي براهينهم الضالة علي إبطال النظر العقلي، حيال ساحة الإمام المعصوم، الذي يزعمون له العصمة من الهوي والخطأ والزلل، ليبين من وراء معني الإمامة في نظر الإسلام ، واصلا في النهاية إلي فتوي الشرع في حقهم

---

(١) راجع المنهج الوضعي عند الإمام الغزالي للدكتور حسن الساعاتي ص ٤٣٧ من بحوث مهرجان الغزالي بدمشق ١٩٦١ م ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية القاهرة ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م .

من التكفير وسفك الدم ، أو فتوي الشرع في تخطئة الضال منهم أو تبديعه ليمكن زجره وإعادته إلي صوابه، وقد حكم الغزالي كقاض مسلم وكحجة الإسلام، بأنه لا يكفر منهم سوي من أنكر حقيقة التوحيد الإسلامي كما جاء بها القرآن وكما جاءت بها السنة، وسوي من أنكر اكتمال دعوة الأنبياء بختام أكمل الشرائع ، وسوي من أنكر الجزاء والحساب والبعث والمعاد ، وسوي من أول كل أمر من أمور الدين في العبادات والعقائد والمعاملات في الدنيا أو في الآخرة علي السواء ...كل أولئك ومن سلك سبيلهم ، يقضي عليهم بالكفر والمروق من الإسلام ، ويسلك بهم مسالك المرتدين (١) .

حيث يذكر الغزالي في الباب الذي خصصه للكشف عن فتوى الشرع في حقهم من التكفير وسفك الدم أن مضمون هذا الباب فتاوى فقهية ونحصر مقصوده في فصول أربعة . الفصل الأول في تكفيرهم أو تضليلهم أو تخطئتهم ومهما سئلنا عن واحد منهم أو عن جماعتهم وقيل لنا هل تحكمون بكفرهم لم نتسارع إلى التكفير إلا بعد السؤال عن معتقدهم ومقالتهم ونراجع المحكوم عليه أو نكشف عن معتقدهم بقول عدول يجوز الاعتماد على شهادتهم فإذا عرفنا حقيقة الحال حكمنا بموجبه

ولمقالتهم مرتبتان :

إحداهما : توجب التخطئة والتضليل والتبديع ،

والأخرى : توجب التكفير والتبري

فالمرتبة الأولى : وهي التي توجب التخطئة والتضليل والتبديع هي أن تصادف عاميا يعتقد أن استحقاق الإمامة في أصل البيت وأن المستحق اليوم المتصدي لها منهم وأن المستحق لها في العصر الأول كان هو على رضى الله عنه فدفع عنها بغير استحقاق وزعم مع ذلك أن الإمام معصوم عن الخطأ والزلل فانه لا بد أن يكون معصوما ومع

(١) راجع الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث للدكتور عبد القادر محمود ص٢٨٤ – ٢٩٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م .

ذلك فلا يستحل سفك دمائنا ولا يعتقد كفرنا ولكنه يعتقد فينا أنا أهل البغى زلت بصائرنا عن درك الحق خطأ إذ عدلنا عن اتباعه عنادا ونكدا فهذا الشخص لا يستباح سفك دمه ولا يحكم بكفره لهذه الاقاويل بل يحكم بكونه ضالا مبتدعا فيزجر عن ضلاله وبدعته بما يقتضيه رأي الإمام (١) .

ثم ذكر في المرتبة الثانية المقالات الموجبة للتكفير وهى أن يعتقد ما ذكرناه ويزيد عليه فيعتقد كفرنا واستباحة أموالنا وسفك دمائنا فهذا يوجب التكفير لا محالة لأنهم عرفوا أننا نعتقد أن للعالم صانعا واحدا قادرا عالما مريدا متكلما سميعا بصيرا حيا ليس كمثله شيء وأن رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما جاء به من الحشر والنشر والقيامة والجنة والنار وهذه الاعتقادات هي التي تدور عليها صحة الدين فمن رآها كفرا فهو كافر لا محالة فإن انضاف إلى هذا شيء مما حكى من معتقداتهم من إثبات إلهين وإنكار الحشر والنشر وجحود الجنة والنار والقيامة فكل واحد من هذه المعتقدات موجب للتكفير صدر منهم أو من غيرهم (٢) .

والخلاصة أن الغزالي الذي ينبذ كل تبعية عقلية ، ويدين التقليد بكافة أشكاله ، قد رفض تعاليم الباطنية ، ونقضها وأصابها في الصميم ، وبرهن علي أن نظرية التعليم من الإمام المعصوم تناقض نفسها بنفسها من حيث إن الباطنية يجب أن تطبق الفكر المنطقي للبرهنة علي صحة هذه النظرية ، علي الرغم من أنها في الوقت نفسه – عن طريق تعاليمها – تجحد أية قيمة للمنطق ، وهذا يجعل رتبة هذه الفرقة – كما يقول – أخس من رتبة كل فرقة من فرق الضلال ، إذ لا نجد فرقة ينقض مذهبها بنفس المذهب سوي هذه (٣) .

---

(١) راجع فضائح الباطنية جزء ١ ص ١٤٦ – ١٤٧ .

(٢) راجع تفصيل ذلك في فضائح الباطنية صفحة ١٥١ – ١٥٦ .

(٣) راجع المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت للدكتور محمود حمدي زقزوق ص ٥٣ دار المعارف =

وينتهي إلي القول عنهم وعن علمهم : فالعجب ممن يتعب طول العمر في تحصيل العلم ثم يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغث ، ويظن بأنه ظفر بأقصى مقاصد العلوم! فهؤلاء أيضاً جربناهم وسبرنا ظاهرهم وباطنهم ؛ فرجع حاصلهم إلى استدراج العوام ، وضعفاء العقول ببيان الحاجة إلى المعلم ، ومجادلتهم في إنكارهم الحاجة إلى التعليم بكلام قوي مفحم ، حتى إذا ساعدهم على الحاجة إلى المعلم مساعد ، وقال: هات علمه وأفدنا من تعليمه! وقف وقال: الآن إذا سلمت لي هذا فاطلبه ، فإنما غرضَي هذا القدر فقط. إذ علم أنه لو زاد على ذلك لافتضح ولعجز عن حل أدنى الإشكالات ، بل عجز عن فهمه ، فضلاً عن جوابــه. فهذه حقيقة حالهم ، فأخبرهم تَقْلُهم ، فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم (١) .

ومما يذكر للغزالي هنا : استمراره علي نقد هذه الطائفة ، وكشف اللثام عن تناقض أفكارها ، وفضح أعمالها ، وسوء نواياها برغم ما كان معلوما في ذلك الوقت أن هذا النقد قد يكلفه حياته وقد رأى بنفسه مصرع رجل الدولة الكبير الوزير نظام الملك وفخر الملك –ابن نظام الملك– أيضا وكان فخر الملك هو الذي ألح على الغزالي في معاودة التدريس فلم يجد بدا أمام ضغطه من الإذعان .

وكان الباطنية يهددون كل من يرونه خطرا عليهم من رجال الملك أو رجال العلم بالانتقام في صورة طعنة من خنجر أو سم يدس في طعام أو غير ذلك من الأساليب التي أتقنوها ونفذوها بكل دقة ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شجاعة الغزالي في صدعه بالحق ومواجهة الباطل مهما تكن النتيجة ولن يصيبه إلا ما كتب الله له (٢) .

وهكذا أراد الإمام الغزالي سيد مفكري أهل السنة – كما قال الدكتور النشار

بمصر ١٩٩٨ م .

(١) المنقذ ٣٧١ / ٣٧٢ .

(٢) راجع الغزالي بين مادحيه وناقديه ص ٦٢/٦١ .

– ، أراد أن يخضع كل فكر لأهل السنة ، خاض كل ما عرف العالم الإسلامي من علوم ومعارف ، وأصابه من كل شيء رذاذ ، وتقلب فيها باحثا مفسرا معلقا، وكل تجاربه في نطاق الفقه والكلام والفلسفة والتصوف ، كانت تجربة مفكر سني ، يبحث كل حقيقة في مختبرها ، وهو عالم السنة ، وفي كل تجربة هو قابض علي مذهب أهل السنة والجماعة قبض الجبابرة ، ويعلن تجربته الأخيرة وهو في نهاية رحلته الباسقة الدنيوية ، مبتدئا أولي خطواته نحو روضة محمد الباقية ، وكوثره السرمدي ، فيسكن الروح والجسد ، وينتفض انتفاضته الأخيرة وصحيح البخاري علي صدره (١) .

حيث كانت خاتمة أمره الإقبال علي الصحيحين ، كما ورد علي ألسنة كثير من منتقديه ، والمحبين له ، والمعترفين بفضله ، بدءا بمعاصره عبد الغافر الفارسي ومرورا بشيخ الإسلام ابن تيمية وانتهاء بالحافظ ابن كثير والعلامة ابن السبكي ، الذي يقول عنه : وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم اللذين هما حجة الإسلام ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام يستفرغه في تحصيله (٢) .

---

(١) راجع نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشار ج ١ ص٢١١ دار المعارف الطبعة التاسعة ١٩٩٥ م .

(٢) راجع شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، جزء ١ صفحة ٢٢٧ دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩١ ، الطبعة : الرابعة وكتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية مجموع الفتاوى جزء ٩ صفحة ١٨٤ – ١٨٥، ، دار النشر : مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي وطبقات الشافعية الكبرى ،ج٦/ص٢١٠، = دار النشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ ، الطبعة : ط٢ ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو ، والبداية والنهاية ج١٢/ص١٧١ ، ١٧٤ ، اسم المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، دار النشر : مكتبة المعارف – بيروت مع طبعة دار الريان للتراث القاهرة . والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم جزء ١٧ صفحة ١٢٦، دار النشر : دار = صادر – بيروت – ١٣٥٨ ، الطبعة : الأولى ، راجع سير أعلام النبلاء ج١٩/ص٣١٧ – =

وهكذا فإن عظمة شخصية الغزالي لا ترجع فحسب إلي تشعب تفكيره ، إذ لم يدع علما من العلوم الدينية في عصره ، لم ينبغ فيه إلي حد أن يصبح من أحد رجاله ، وإنما بتعقد المنحني الخاص بشخصيته إلي حد أن تختلف فيه آراء الباحثين إلي اليوم ، علي أنه من الخطأ أن يرد ذلك إلي عدم الاتساق في تفكيره ، أو التعارض بين نظرياته ، وإنما إلي مرونة فكره ، والتزامه الاعتدال بين الإفراط والتفريط ، وقد استطاع أن يصل إلي كل هذا التأثير الخطير في الفكر الإسلامي بعد أن تمثل تماما تراث السابقين عليه ، ثم أضفي عليه من عبقريته ونفخ فيه من روحه ما جعلهم يتوارون إلي جانبه .

ولذلك يري بعض الباحثين أنه إن صح أن نتخير من كل حضارة علماً واحداً مبرزاً فيها ممثلاً لها كان أرسطو بين اليونان وديكارت أو كانت من بين الأوروبيين المحدثين، فلا أظن أن هناك مفكرا يشغل نفس المكانة في الحضارة الإسلامية وربما على نحو أكثر تمثيلاً وأعمق تأثيراً من الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، حيث استطاع أن يصل إلي كل هذا التأثير الخطير في الفكر الإسلامي بعد أن تمثل تماما تراث السابقين عليه ، ثم أضفي عليه من عبقريته ونفخ فيه من روحه ما جعلهم يتوارون إلي جانبه (١) .

حتى إن أحد خصومه من المعاصرين وهو الدكتور محمد عابد الجابري يعترف بأنالغزالي بقي وما يزال حاضراً في ثقافتنا العربية الإسلامية منذ أن بلغ العقد الثالث من عمره مع ثمانينات القرن الخامس الهجري، إلى اليوم، وما أظنه سيكف عن الحضور فيها قريباً ، كان حاضراً وما يزال في وجدان مؤيديه والرافعين من شأنه كما في أذهان

---

٣١٩ اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣ ، الطبعة : التاسعة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي

(١) راجع الدكتور أحمد صبحي :في علم الكلام :دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ج٢ الأشاعرة ص ١٦٧/١٦٥ دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م

معارضيه الراغبين في التخلص منه نوعاً من التخلص. وهذا الحضور المستمر للغزالي في الفكر العربي الإسلامي دليل على أنه لم يكن مجرد واحد من أعلامه البارزين، بل هو برهان على أنه كان ولا يزال أحد مكوناته، وإحدى سلطاته المرجعية التي لم تشخ بعد ، ويقرر أن مكونات فكره هي مكونات الثقافة العربية الإسلامية كلها، بمختلف منازعها واتجاهاتها وتياراتها. ذلك أن الغزالي لم يكن مرآة انعكست عليه ثقافة عصره وحسب، بل لقد كان أيضاً ساحة التقت عندها مختلف التيارات الفكرية والأيديولوجية التي عرفها الفكر العربي الإسلامي إلى عهده، وقد استكملت مراحل نموها وأسباب نضجها، فعبرت على لسانه ومن خلال سلوكه وتجربته الفكرية عن مدى تنوعها واتساع آفاقها، عن صراعاتها وتناقضاتها ،لذلك يرى أن أقصر طريق إلى فكر الغزالي ومكوناته ليس بوصفه فكر رجل بعينه، بل بوصفه ظاهرة فكرية في الثقافة العربية الإسلامية ظلت حاضرة فيها طيلة القرون التسعة الماضية (١)، فقد تجاوز الإمام الغزالي إذن في معيار العلم الإسلامي، درجة المجتهد والمجدّد، إلى حيث أصبح في تاريخ الفكر الإسلامي "ظاهرة فكرية"، و"مرجعية فكرية " ميزت عصره، وتركت بصماتها على مسيرة الفكر الإسلامي في ما تلا عصره من عصور.. بل لا تزال اجتهاداته وآثاره الفكرية تطبع قطاعات واسعة من الثقافة الإسلامية حتى الآن .

---

(١) راجع بحثه مكونات فكر الغزالي ص ٥٥/٦٢ من كتاب (أبو حامد الغزالي :دراسات في فكره وعصره وتأثيره)من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ١٩٨٨ .

فهرس المراجع والمصادر

١ – البداية والنهاية ج١٢ ،للحافظ المحدث إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، دار النشر : مكتبة المعارف – بيروت مع طبعة دار الريان للتراث القاهرة

٢ – دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين للدكتور أحمد صبحي :في علم الكلام ج٢ الأشاعرة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م

٣ – التصدير العام الذي قدمه د عبد الرحمن بدوي لكتاب فضائح الباطنية للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت ، حققه وقدم له : د عبد الرحمن بدوي

٤ – رجال الفكر والدعوة في الإسلام للشيخ العلامة أبي الحسن الندوي الجزء الأول نشر دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت، ملتزم التوزيع – دار القلم للنشر والتوزيع بالقاهرة الطبعة العاشرة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

٥ – سير أعلام النبلاء ج ١٩ اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣ ، الطبعة : التاسعة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي

٦ – شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩١ ، الطبعة : الرابعة

٧ – طبقات الشافعية الكبرى . للعلامة ابن السبكي ، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ، الطبعة: ط٢، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو

٨ – فضائح الباطنية . للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، مؤسسة دار

الكتب الثقافية – الكويت ، حققه وقدم له : د عبد الرحمن بدوي .

٩ – الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث للدكتور عبد القادر محمود – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م .

١٠ – الغزالي بين مادحيه وناقديه للدكتور يوسف محمد ، دار الوفاء للطبع والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م .

١١ – المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت للدكتور محمود حمدي زقزوق دار المعارف بمصر ١٩٩٨ م .

١٢ – المنهج الوضعي عند الإمام الغزالي للدكتور حسن الساعاتي ضمن بحوث مهرجان الغزالي بدمشق ١٩٦١ م ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية القاهرة ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢ م .

١٣ – مجموع الفتاوى : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جزء ٩ ، ، دار النشر : مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي وطبقات الشافعية الكبرى ، ج٦/ص٢١٠، دار النشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ ، الطبعة : ط٢ .

١٤ – مكونات فكر الغزالي . للدكتور محمد عابد الجابري من كتاب (أبو حامد الغزالي :دراسات في فكره وعصره وتأثيره)من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ١٩٨٨ .

١٥ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم للعلامة ابن الجوزي جزء ١٧، دار النشر : دار صادر – بيروت – ١٣٥٨ ، الطبعة : الأولى .

١٦ – المنقذ من الضلال . تحقيق الإمام الدكتور عبد الحليم محمود دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٨٥ م ، والمنقذ من الضلال والموصل إلي ذي العزة والجلال .

حققه وقدم له د جميل صليبا ود كامل عياد ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٩٩٦ م – ١٤١٦ هـ .

١٧ – هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس د ماجد عرسان الكيلاني مكتبة دار الاستقامة الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م ، وطبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .

ملخص بحث بعنوان

(دور الإمام الغزالي في مواجهة التأويل الباطني)

دراسة تحليلية نقدية

يدور هذا البحث حول دور الإمام أبي حامد الغزالي حجة الإسلام (٤٥٠ – ٥٠٥ ه) ، في نقد التأويل الباطني ومواجهته ، وذلك من خلال ما قام به من مناقشة لهذا التأويل الباطني في عدد من كتبه ، حيث يذكر أن اختلاف الخلق في الأديان والملل ، ثم اختلاف الأئمة في المذاهب ، على كثرة الفرق وتباين الطرق ، بحر عميق غرق فيه الأكثرون ، وما نجا منه إلا الأقلون ، حيث قام بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم. وسماه فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية) وقد خصص الباب الثاني في بيان ألقابهم والكشف عن السبب الباعث لهم على نصب هذه الدعوة المضلة ، فذكر من القابهم الباطنية لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر ، والمقصود ، أن الغزالي قد قرر شبهتهم إلى أقصى الإمكان ، ثم أظهر فسادها بغاية البرهان . وانتهي في كتابه (المنقذ من الضلال) إلي أنه لا حاصل عند هؤلاء، ولا طائل لكلامهم. ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل، لما انتهت تلك البدعة– مع ضعفها– إلى هذه الدرجة ؛ وهكذا تعمق الغزالي في تعاليم الباطنية ،وقام بتأليف كتب عديدة ضد هذه التعاليم ، وعرض في هذه الكتب تعاليمهم وأهدافهم بطريقة منهجية، وقرر شبهتهم إلي أقصي الإمكان حتي وجدنا بعض أهل الحق في عصره قد لامه في مبالغته في تقرير حجتهم ، ولكنه الغزالي الذي يأبي إلا أن يفحص ويستقصي ويتعمق في المذهب ويستظهره ثم يكر عليه بتفنيد ما فيه من مزاعم وأباطيل ، وهذا شأنه مع كل المذاهب التي قام بمناقشتها ، أ د فتحي محمد الزغبي .

A research abstract with the title:

The Role of Imam al-Ghazali in Confronting The exoteric interpretation (batiny Tafsir), a critical and analytical study

This research tackles the role of the authority on Islam (Hojatoleslam) Imam Abu Hamed Al-Ghazali (450-505 AH) played in criticizing and confronting the exoteric interpretation of the Qur'an and Hadith through discussing it in some of his books. He mentioned that differences between people in religions and faiths, between Imams in their ways, and between sects are like a fathomless sea that many drowned in it, and few are those who survive. He also wrote a book that uncovers the reality of their sect, and titled it (Fada'ehul batiniyyah wa zahiriyyah) "Disgraces of Batiniyyah and Mustazheryyah". He allocated the second part of that book to show their titles, and uncover the motive that urged them to put this misleading claim. Moreover, among their exoteric claims, Al-Ghazali mentioned that Batiniyyah see that the outward (ẓāhir) meaning of expressions in the Qur'an and Hadith has esoteric (batin) meanings that are like the essence to the cover. This means that Al-Ghazali asserted greatly on the suspicion of their belief, and evidently showed its invalidity. Therefore, Al-Ghazali concluded in his book (al-Munqidhu menad Dalaal) "The Saver from misguidance" that they and their words are useless, and unless that bad habit of supporting an ignorant fellow, that heresy would not –although it is groundless – spread to such a degree.

As we see, al-Ghazali fathomed the depth of Batiniyyah's instructions, wrote many books that confront these

instructions, showed –in these books- their instructions and aims systematically, and came to say that they are greatly suspicious to the extent that we saw some of his contemporary righteous fellows blamed him of his exaggeration in criticizing their opinions. However, he is al-Ghazali who does nothing but searching, investigating and studying thoroughly any sect to uncover it, and then come to it again to refute its allegations and vanities, and he always did so with all the sects he discussed. Professor: Fathi Muhammad Az-zoghbi

فهرس الموضوعات